على الوضع الراهن خدم ويستمر في خدمة مصالحها جيداً. فالحكومات العربية لم تعطها أي سبب للاعتقاد بغير ذلك (ص ٢٢٠).

ويتبرع شديد للقيام بدور المستشار، للحكومة الأميركية وللحكومات العربية، عندما يقدم النصح، للأولى، حول أفضل السبل لاستمرار التبعية عن طريق عدم «إغضاب» الدول العربية وعندما يقدم النصح، للثانية، حول أفضل الطرق للمحافظة على المصالح الاميركية، عن طريق كبح حركات التحرر في الوطن العربي من شرقه إلى غربه. وحتى عند أخذ قول شديد، بمعناه الظاهري، الذي يحاول الايحاء بأنه يلقي اللوم على الحكومات العربية لانها لم تضغط بما فيه الكفاية على الشركات الأجنبية لتغيير مواقفها تجاه القضية الفلسطينية، حتى عند ذلك، يدل قول شديد على عدم فهمه لطبيعة العلاقة بين الحكومات العربية وبين مجموعة الشركات. فالطبقات العربية الحاكمة هي الشريك المنطقي لمجموعة المصالح الاميركية والأوروبية، تتقاسم وإياها الغنائم والارباح على حساب مصالح الطبقات الشعبية وآمالها وطموحاتها. لذلك فان أي تهديد للمصالح العيوية لمجموعة المصارف والأعمال، التي يتحدث عنها شديد، تعني تهديد أساس ووجود الطبقات العربية الحاكمة.

ويفسر شديد أسباب تأثير اسرائيل على السياسة الأميركية، بالاعتقادات الخاطئة والأوهام التي تبثها اسرائيل وتوزعها هنا وهناك في الوسط الأميركي، أو كما يقول: «لا يرجع سبب ضعف النفوذ الأميركي، وبالتالي قوة التأثير الاسرائيلي المكمل وغير المتناسب على السياسة الأميركية ازاء الفلسطينيين، إلى الضغوط المحلية لمصلحة اسرائيل فحسب، بل إلى الفكرة السائدة — وان كانت وهماً — لا سيما بين المجموعات التاسيسية والمحافظة — بأن اسرائيل هي قلعة موالية لاميركا، ومعادية للشيوعية في الشرق الأوسط» (ص ٢٤٠).

لا يكتفي شديد بتبرير السياسة الاميركية، بل يذهب إلى تبرير مواقف الحكومات العربية المتخاذلة من القضية الفلسطينية، حين يفسر أسباب ضعف التأثير العربي على السياسة الاميركية، بقدرة الولايات المتحدة اللامتناهية على اقناع العرب بانها تقوم ببذل ما في وسعها من أجل القضية الفلسطينية (ص٢٤٣). وهو يفصل بين مواقف هذه الحكومات وبين تركيبتها الطبقية المرتبطة عضوياً بالمصالح الامبريالية، والتي يعنيها استمرار الوضع الراهن كما يعني حليفها الامبريالي، يصيغ شديد في خاتمة كتابه جملة من الملاحظات يلخصها على النحو التالي: «ان أهمية قضية فلسطين تفوق مصير الملايين الاربعة من الفلسطينيين، بل هي ضمير العرب وشريان نابض بالنسبة إلى العالم الاسلامي، وربما كانت نقطة الالتقاء الوحيدة بين القومية العربية والصحوة الاسلامية. ولم يعد في امكان الولايات المتحدة تجمّل عواقب حلول مؤقتة لهذا الوضع المتفجر. ثم يخلص إلى القول بان المسالة الفلسطينية ظلت، بالتالي، حتى سنة ١٩٨١ برميل بارود مهيأ للانفجار في أية لحظة. لقد حان الوقت بعد ما يزيد عن ٣٠ عاماً... لان تعترف الولايات المتحدة بالحق الطبيعي للشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة على أرض وطنه فلسطين» (ص٢٦٣).

لقد استحوذ التيار الديني على أفكار العديد من الكتاب العرب. وقد سبق أن تولى الدكتور صادق جلال العظم تبيان صلة انماط تفكير حملة هذا التيار بـ«الاستشراق في مقاله «الاستشراق والاستشراق معكوساً»؛ ويعيد شديد انتاج اطروحة الخصائص الثابتة للمجتمع الاسلامي فيتوجه إلى الولايات المتحدة بالتحذير من عواقب انتهاج سياسة تمس كيان وخصائص هذا المجتمع.

وبعد مضي ما يناهز الـ ٣٢ عاماً على اغتصاب فلسطين، وبعد عجز «القومية العربية» و«الصحوة الاسلامية» (بما هما التعبير الايديولوجي عن مصالح الطبقات الحاكمة) عن توفير الحدود الدنيا من مستلزمات الصمود، يتبرع شديد برفع رايتهما، في مواجهة الاعتداء الأميركي على حقوق الشعب الفلسطيني، صارفاً النظر عن كل دروس التاريخ العربي وما أفرزه هذا التاريخ من تأمر مارسته منتمون إلى الصف العربي والصف الاسلامي على القضية الفلسطينية والعربية.

عباب مراد